الدين...واسقاطات الغرائز الطفولية-الجزء الثاني

25/06/2010

توقفت في المقال السابق عند نقطة "الرغبة الجنسية المتبادلة مابين الألم-االبن" الناجمة عن عقدة خوف من فقدان

.العضو الذكري لالبن، أما بالنسبة لألم، فهي حالة تعويض للميزات الممنوحة لالبن من قبل جماعته

إذا تعمقنا في االساطير نجد أن هذه العقدة أساس جوهري لعالقة االلم-االبن العاكسة لرغبة و محاولة تعويض متبادلة،

.لهذا نستطيع أن نقول ان االلهة، الشياطين و الخالق نبعت من هذه العالقة المتشابكة بينهما

ربما كان تركيز كثير من اختصاصيي النفس على عالقة االب-االبن والواضحة في كثير من االساطير، كونهم يرون

وهذا شيئ طبيعي الن إدراكنا ناتج عن "االنا" الفردية، فمهما .ويدركون الخارج والمحيط من خالل نظرة ذكورية

في فخها بنسب متفاوتة، لهذا أرى ومن نظرة أنثوية وجوب التعمق في

حاولنا االبتعاد عنها، إال أننا نقع دائما

االساطير مجددا مع االرتكاز بالطبع على المفاهيم السابقة دون تبنيها بشكل كامل، بل محاولةً وإدراكها بشكل مختلف

، فمن وجهة نظري، أجد أن العالقة القائمة على

إعادة وبناء الفرضيات مجددا التنافس واالسترضاء ما بين االب-االبنً

.ناجمة عن عالقة وطيدة حميمية مرتكزة على رغبة جنسية متبادلة مقموعة ما بين االلم وابنها

في أسطورة لقبيلة "أندامان"، نجد أن مسبب الجريمة أو الخطيئة االولى هما امرأتان قامتا بسحق النباتات تحت تأثير

أشعة الشمس. يعتبر "روهيم" ان أشعة الشمس القوية الموجودة في هذه االسطورة تعكس حالة الرغبة الجنسية لدى

الأنثى تجاه الذكر، وبشكل أصح، تجاه القضيب الذكري، لينتج عنه عصيان لما هو محرم. أي يمكننا القول ان الألم قد

مارست الجنس بشكل فعلي مع ابنها، وقامت بعصيان لما حرمته الجماعة عليها والناتج عن تمرد االبن في المرحلة

ً الألبوية له ليقو لرغبات نفسية عديدة

ويتجلى هذا في أول تحريم للعالقات . م بتصعيد الغرائز الجنسية خدمة له وإشباعا

الجنسية التي أصابت عالقة الألم بابنها، مما يوضع لنا انعكاس رغبة وظمأ أولي شديد من الألم تجاه ابنها قبل أن تنشأ

.عنها رغبة متبادلة من االبن تجاه أمه

تعقيدا –االبن. كما نرى هذهً إذن، عالقة الألب–االبن وما نتج عنها هي نتيجة لعالقة أقدم وأقوى وأكثر وهي عالقة الألم

أسطورة أخرى لنفس القبيلة عند إبادة الألم الألولى البشرية كاملة انتقاما لموت ابنها " العالقة متجسدة بشكل واضح في

السحلية"، والسحلية هنا ترمز إلى القضيب وذلك لقدرتها على تجديد أعضائها المفقودة، وبهذا يتمكن الذكر من

.االنتصار على خوفه من فقدان عضوه الذكري من خالل تجديده ونفي هذه العقدة

اتفق كثير من الألنتربولوجيين على أن طوطم النبات و تحريمه يرمز إلى العالقة الجنسية المحرمة، فكل نوع نباتي

يرمز إلى فعل جنسي، أي اننا نستطيع القول إن الألخالق و المحرمات والشرائع مرتكزة على العالقة الجنسية

والألعضاء التناسلية. و بقول آخر، نستطيع القول إن إله اليوم المعبود من كثير من البشر مهما اختلفت دياناتهم هو

نتيجة لعالقة جنسية متشابكة ومتداخلة في نفس الوقت والتي خضعت إلى تناقضات الحالة النفسية الفردية ومن ثم

.الجماعية، أي أن االلهّ هو نتيجة لعالقة قديمة محرمة وهي عالقة الألم–االبن

في الألساطير الطوطمية لألم الألولى التي حرمت كثير من

نجد مكانا النباتات على أفراد القبيلة وأباحت لنفسهاً واسعا

.أكلها، وكما قلنا ان أكل النبات يرمز إلى فعل جنسي

لكن علينا التساؤل عن كيفية انتقال هذه إلباحة الجنسية لألنثى، أو لألم ألولى و من ثم إلى الذكر؟

أن االنتقال قد تم بواسطة االبن الذي استغل ضعف غريزة ألم

أعتقد شخصيا تجاهه ليتمرد على سطوة أمه من خالل ً

ايجاد قوانين أخالقية وروادع لهذا الليبيدو االنثوي، واضطراره إلى تقمص دور ألنا ألعلى أو الدور ألخالقي، لهذا

نرى آثار الرغبة الجنسية لألبناء تجاه أمهاتهم والخوف من فقدان أعضائهم الذكورية التي يمكن لألب قطعها في حالة

اي أن االبن والذي بدوره سيلعب يوما دور ألب، فضل قمع رغبته ً من ألايام .ظهور هذه الرغبة بشكل واضح

ألنثى بشكلها العام لصالح ألب، أي

الجنسية تجاه ألم والتي تمثل هي أيضا في المستقبل. يمكننا

لصالحه شخصيا

التعبير بشكل آخر، فضل الذكر المصالح المستقبلية عن مصالحه آلنية، وبما ان ألم حالة مستقبلية لحالة ألنثى

أيضا بمساعدة ابنها للتمكن من السيطرة و انتقال ً االبنة، فقد فضلت هي المصلحة البعيدة عن المصلحة القريبة، وبدأت

.السطوة إليهً

علينا أن نعلم بأن عملية انتقال السطوة وتقمص الذكر للقوانين وألخالق لم تمر بشكل هادئ، بل خضعت هي أيضا

ألم واالبن(. ولتمكين هذه الحالة الذكورية المبنية على المصلحة البعيدة)لعراكات نفسية عديدة يعيشها االثنان

لكليهما، كان و ال بد من ترسيخها من خالل مفاهيم دينية رادعة ألية محاولة تمرد، لهذا نجد أن اإللّه نفسه يعاني من

تناقضات كثيرة تعكس الحالة البدائية للعالقة الجنسية االولى ما بين ألم و ابنها. ومن هنا نجد أن بعض ألديان ركزت

ألنثى الخاضعة لهذه القوانين

على هذه العالقة و خصت ألم بمكانة تفوق مكانة ألب، ولهذا تحلم ألنثى و خصوصا

، وذلك السترجاع مكانتها المفقودة

.وألديان بإنجاب طفالً ذكرا

أن كثير من القبائل ألصلية وبعض ألديان قد قامت

و لهذا العجب أبدا بتحريم الزواج من نساء عدة، فهي مرتكزةً

على عالقة الطفل بأمه والرغبة في العودة الى الطفولة عند التصاقه بامرأة واحدة، أي تكرار الحالة الطفولية ثانية .

أن نراها عند بعض فصائل القردة والتي فضلت

.ولهذا ال عجب أيضا التزاوج ألحاديً

نعود إلى القبائل التابعة لنظام التزاوج ألحادي، فنجد أن أسسها قائمة على ثالوث ألم-الطفل-ألب، وتقديس العالقة

الزوجية بعد مجيئ الطفل. هذه العالقة نجدها في الدين المسيحي مع استبدال ألم بالروح القدس، وهذا يعكس بالطبع

ً تراجع مكانة ألنثى وبألخص مكانة ألم في هذه المجتمعات في ذلك العهد)طبع في هذه

لم تتحسن مكانة ألنثى حاليا

ا

).المجتمعات نتيجة للموروث التاريخي الثقافي والديني

إذن، يعكس االله عملية التصعيد للذكر الشافي لحالة عقدة الذنب الناجمة عن عالقة جنسية محرمة ما بين االم-االبن.

بينما تعكس الشياطين والعفاريت الحالة االصلية للدوافع الجنسية-العنيفة للطفل، حسب تحليل مختصي االنتربولوجيا

النفسي، والتي برهن عليها أطباء نفسيون كثر من خالل متابعات اكلينيكية ألطفال عدة، والتي تتلخص برغبة الطفل

باختراق جسد أمه، والمولدة لحالة القلق النفسي لديه، هذه الحالة المؤثرة على الطفل تجعله يهرب منها من خالل

.المخيالت الحائكة لقصص الجن والعفاريت والشياطين